

محمد العلي
دا أهد في البيت



محمد العلي

دا أُحد في البيت

انتخبَ النصوص وحرّرها: أحمد العلي


مساعي للنشر والتوزيع
Masaa Publishing & Distribution


الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون
الدمام


مهرجان بيت الشعر
القرن
دورة محمد العلي

2015

محمد العلي: لا أحد في البيت
انتخب النصوص وحررها: أحمد العلي

الطبعة الأولى - 2015

ISBN 978-99958-00-00-0

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة - مملكة البحرين

000 / د ع / 2015

جميع الحقوق محفوظة

مهرجان بيت الشعر الأول
عمرة محمد العلي



الجمعية العربية السعودية
للثقافة والفنون

المنطقة الشرقية - حي الأثير

ص.ب: 2774 - الدمام 31461

هاتف: +966 13 841 6537

فاكس: +966 13 841 6715

الموقع على شبكة الإنترنت: www.sasca.org.sa/dmm



مسعى للنشر والتوزيع

Masaa Publishing & Distribution

ص.ب: 65317 المنامة، مملكة البحرين

هاتف: +973 77 177 221

فاكس: +973 77 177 212

البريد الإلكتروني: info@masaapublishing.com

الموقع على شبكة الإنترنت: www.masaapublishing.com

Copyrights © Masaa Publishing and Distribution

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل
الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أي وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات أو استرجاعها
من دون إذن خطي من الناشر.

صورة الغلاف: أحمد الشايب

خطوط وتصميم الغلاف: محمد النبهان

مفتاح

لا أحدَ في البيت. هذا ما غَنِمْتُهُ.

خالفتُ، في تحريري لهذا الكتاب، وانتخابي لما فيه، ما هو معمولٌ به في صَنعة التحرير، تحرير الأعمال الشعرية على وجه الخصوص. لا أبتغي عَرَضَ أشهر قصائد الشعراء، أو إبراز ما يستهويني منها، أو حتى بناء مسرح لتجربته الشعرية. تظهرُ نصوص الشاعر هنا بوصفها حلمًا؛ تتقطَّعُ وتتصل، سِنَّةً ونومًا، حُلُمٌ غَزَلْتُهُ لنفسي، فِعْلَ قراءتي.. فالقراءة في جذرها محاولةٌ للرؤية، امتثالٌ لما يتبدَّى وما يتخفى، وأسلمتُ نفسي لذلك؛ إنها سرقةٌ مُحترفة، وتلصُّصٌ مُباحٌ على أوكار المجاز وأفاعيه، وعلى غُرَفِ الوقت ونوافذ أفكاره، وعلى الآلهة من أعلى وأسفل، وعلى اللغة العارية. على الشعر.

مزّقتُ أكثر النصوص كالأقمشة، أبعدتُ خيوطاً عن أسهلها لتأخذُ بعداً فضائياً، احتمالاتٍ أكثر. كَسَرْتُ أَسْطُراً ويَتَمَّتْ أَيْبَاتاً، وأَبَكَيْتُ الخليلَ، ليس لأنِّي عاندتهُ، أنا لا أكرهه، أبداً، بل تجاهلته، ولم أُعِرْهُ خاطري ووجداني.. فَسَوْتُ عليه. كَأَنِّي أَعْتَمُّ بحراً كاملاً وأُطِيرُ بكشّافٍ واحدٍ أَسْلَطَه على مَوْجَةٍ واحدة. مَنْ يَتَغَيَّى فهمَ ذهنيّة بناء الشّاعر لقصائده، وتفكيك تجربته الشعريّة، بُغْيَة حقنها في الدم والهواء، أو للبحث والتوثيق، فعليه قراءة الديوان الكامل (لا ماء في الماء). هُنَا فُرْصَةٌ لِحُلْمِي كي يراه أحدٌ غيري، لغنائمي، وبَقِيَ أَنْ أَقُولَ بأنني قد اخترتُ هُنَا أيضاً مقاطعَ من ثماني عشرة نصّاً لم تُدرَج في الديوان آنف الذكر. هكذا أَبَحْتُ لِنَفْسِي ما لا يُعْقَلُ ولا يجوز، ما قد يُغْضِبُ مُحِبِّي الشّاعر، أو المسلّوبين بذاك الغول في ليل الشّعر، أعني العروض. لكنها -وأنا أضحك الآن- رُقْعَةٌ لِعَبٍّ، محكومةٌ بشروط الفتنة والافتتان. أُرَاهَنُكَ على هذا.

أحمد عبدالسلام العلي

نيويورك، يناير 2015

I



تَرُثُكَ النُّجُومُ

/

أَغْدُو..

فِي لِسَانِي نَبْعُ

/

يُحَدِّقُ

بَعْيُونِ كَثِيرَةٌ

/

أَرْحَ الْغَمَضِ

عَنْ جَفُونِكَ.

/

عُمَرُ
يَنسَى مَجْرَاهُ، وَيَبْقَى
كَنَبِيذٍ طَاعِنٍ فِي الرَّشَفِ..

/

أَيُوجِعُكَ الْحُلْمُ؟
أَطْلَقَهُ..
دَعِهِ يَفِيضُ كَمَا الْمَوْتُ،
وَتَحْيَلُ
إِذَا مَا الْهَدِيلُ
تَنَاعَسَ تَحْتَ الْمَطَرِ..

/

مُترعاً كَانَ ذَاكَ الْجِدَارِ .
كُنْتُ أَقْرَأُ مَا خَطَّهُ السَّابِقُونَ عَلَى وَجْهِهِ ،
وَأَصْنَعُ
فِي لَوْعَةٍ مُقْمِرَةٍ
نَوَافِدَ مَنْ فَرِحَ نَاحِلٍ ،
ثُمَّ أَرْسُمُ لِلْآخِثِينَ :
مَوَاعِيدَ ،
أَجْنَحَةَ ،
ثَرَثَرَةً ..

كيفَ الفرارُ من الشُّعر
هذا الذي أصبحَ
لِصَّاً بحجم الليل؟
كيف الفرارُ من هذه الهويّةِ
التي لا تدري
على أيِّ موجةٍ
تبني وكرها؟

ما لهذا المساء
يتحدّثُ في نفسه
بأحاديثَ
مثل عيون النساء..
ما لهذا المساء
يتكاثّرُ
حتى كأنّ النهار تناساهُ
أو
مَلَّ أوهامه، فانتحر؟
ما له
يتصفّحني
ويُدَرِّبُ أوداجه للنحيبِ
على رقصة الزّهر
في مُقلتي
أو راحتي
أو الظنّ..

في سماء الحديقةِ
مطرٌ غامضٌ
واحتضار،
وسرباً فسرِباً
تَفَرُّ العَصَافِيرُ
ظامئةً
والمياهُ العميقةُ
يُتَكلُّها الانتظار..

كَانَ مِنْ لُغَةِ الزَّهْرِ
حِينَ يَصُبُّ الرَّبِيعُ، عَلَانِيَةً، عِشْقَهُ
حَوْلَ أَكْثَامِهَا الْمُغْمِضَةِ..
كَانَ نَهْرًا
لَهُ ضِفَّةٌ وَاحِدَةٌ
هِيَ الْقَلْبُ.

سَأُشْعِلُ فِي دَاخِلِي
شَمْعَةً لِلْخَرِيفِ
وَعِيدًا صَغِيرًا عَلَى دَرْبِهِ..
سَأُعَانِقُهُ
مِثْلَمَا عَانَقَ الْمُتَنَبِّيُ سَيْفَهُ،
وَأُطَارِحُهُ
شَعَرَ مِهْيَارٍ جَلَّقَ،
أَقُولُ لَهُ:
عِمَّ حَصَادًا
يَا صَاحِبَ الْمَنْجَلِ الْمُتَلَثِّمِ.
أَسِنَّ الْمَاءِ حَوْلَ الْجَذُورِ
وَأُورِقَ هَذَا الشَّجَرُ
سَفَاحًا،
فَأَوْغِلْ بِهِ الْمَنْجَلَ الْمُتَلَثِّمِ..

أَوْغَلُهُ يَا سَيِّدَ الرَّفْضِ،
حتى تعود البَكَارَةُ
لهذي الغصون التي في الشَّجَرِ
وتلك الحقول التي في البشر.
سَيِّدَ الرَّفْضِ
هل ستسمعني
حين أهمسُ سرًّا صغيرًا
أُنِينًا
كما الكلمات؟
إِنَّ وَقْتَكَ فَاتَ
ووقتي فَاتَ،
لم يُعد في الحياةِ الجميلةِ
غيرُ الرُّفَاتِ.

ها هو القلبُ
 منذ انفردت به
 يستجيرُ بظلك..
 إن امتدادك في الصُّحُو
 يُشعرهُ بالسُّموس القَريبة..
 يُلهِمهُ لُغة الرِّفص
 أنشودة القافلة..
 لا شيءَ بين اثنتين:
 العدالة والمُشقة.
 وكانَ اختيارًا فريدًا
 لجمر النداءات
 في البُرْعم الغَضِّ
 ألا حياة بلا قافلة.

إِنَّ امْتِدَادَكَ فِي الصَّحْوِ
يُنْبِتُ فِي الْيَقِينِ
بِأَنَّ الَّذِي حَاصَرَ الضُّوْءَ
يَفْقَأُ عَيْنَيْهِ،
وَأَنَّ النُّبَاحَ الَّذِي يَمْلَأُ الْأَفْقَ
سَوْفَ يُفْتَشُّ عَنْ مَخْبِئٍ لَنْ يَرَاهُ.
إِنَّ امْتِدَادَكَ فِي الصَّحْوِ
بَابٌ إِلَى رُؤْيَا النُّهْرِ
ذَلِكَ الَّذِي يَتَدَفَّقُ
مِنْ تَعَبِ الْكَائِنَاتِ
لِيَجْرِفَ كُلَّ الْغُثَاءِ الَّذِي دَنَسَ الْأَرْضَ.

إنَّ امتدادَكَ في الصَّحو

يزرعُ أجنحةً غيرَ مرئيةٍ

في الدماء

ويودعُ في كلِّ رأسٍ

حديقةً

وجمرًا نقيًّا بكلِّ إرادة

وَيُعَلِّي الأناشيدَ

فوقِ شِفاهِ الأملِ.

إنَّ امتدادَكَ في الصَّحو

يُرضعُنِي

مرَّةً ثانيةً!..

Ω

الغبارُ على الماء،
غادرَةَ هذه الشُّهب الزّبدِيَّةُ في الكأس،
هذا الصُّباحُ الذي لم يزل في ارتداد،
وتلك الغصونُ التي انهمرت
في الرياح..
وما عَثَرَ القلب،
ما بارحته المواعيد..
والأرضُ.. تلك البَغْيُ الجميلةُ
تردادٌ وهجاً على البُعدِ
ترداد..
تنصبُّ بين يديها الينابيعَ
تهجُّرها
ثم تبقى تلوح.
يا زمنَ العوسجِ المتبرِّجِ
لم ينضج الموت فينا
ولكننا
سوف ننضجه بالحياة.

هل تهجيتِ وجهي الذي
يسكنُ الموجَ،
يا زُرقةَ طفلةٍ
تجهلُ النُطقَ؟
إنّا أتيناكِ بالنَّخلِ..
بالشَّجرِ المتوهِّجِ في القلبِ..
هيا .. اجتني هذه السَّحبَ،
أو فاضري
-نخلة نخلة-
بالحجارة.

ذُلُّ صَقِيلٌ هُوَ الْعِشْقُ!
لكننا قد عشقنا..
وما عَرَفَ السَّاهِرُونَ الجِرَاحَ التي
يَصْنَعُ الْبَحْرُ.
قِفْ بِي مَلِيًّا أَبَا الطَّيِّبِ
واقْرَأْ عَلَيَّ الجِرَاحَ التي
قد تَرَكْتَ بِهَا مِصْرَ؛
كَانَ الْجَوَادُ هُوَ اللَّيْلُ
غَادَرَ دُونَ صَهِيلِ
وَأَغْمَدْتَ جُرْحَكَ بِالشَّعْرِ،
لكن ما عندنا
كَيْفَ يُغْمَدُ
ما عندنا زُرْقَةً طِفْلَةٍ تَجْهَلُ التُّطْقُ.
إِنِّي أَقْبِلُ عَيْنِكَ
لو جِئْتَ تَمْنُحْنِي
بَعْضَ لَوْلُوكَ الرِّطْبِ..
هَذَا الْخَلِيجُ الْمَبْرَحُ غَادَرَ مِنْهُ الْمَحَارُ.

إناءٌ خذيني لصوتكِ
 ثم اكسريه على البحر..
 فيروز: قد أقفلَ الموجُ أفراحهُ
 ثم هاجر..
 أفردني ثم هاجر..
 لكنَّ صوتكِ أجنحةٌ
 للذين يفيضون من كلِّ فجٍّ
 مِنَ الرَّمْلِ
 والماءِ
 والنَّخلِ،
 من كلِّ مُشْتَجَرٍ للكآبَاتِ،
 من كلِّ ما سَوْفَ أذكرُهُ
 حينما أتغزّل..
 آه .. متى أنغزّل؟.

II



توقّف بي قليلاً
عند غطسة الحليّ..

/

زهرها مئذنة
يصدّحُ الفجرُ فيها
لا إله إلا الله..

/

رقصت وحدها
فتهدّج حتى الظلام،
وتقادم
كُلّ الكلام..

/

ثُمَّ مَرَّتْ
كَمَنْ يَتَرَشَّفُ هَمْسًا،
كَمَنْ يَأْخُذُ النِّهْرَ فِي يَدِهِ
ثُمَّ يُطْلِقُهُ
فِي أَحْوَارِ التُّلُفْتِ..

/

نَظَرْتُ..
فَانْحَنْتُ غِيْمَةً
تُرْشُّ عَلَى الظِّمَاءِ الْبَدَوِيِّ
أَغْصَانَهَا الْوَارِفَةَ..

/

وَصَبَّتِ الدَّمَاءُ
أَسْرَارَهَا
فِي هَمْسَةٍ
فِي نَظْرَةٍ
وَرَفَّ خَاطِرٌ صَامِتٌ
هُنَاكَ..

/

تَجْرِي،
فِيخْتَلِجُ التَّرَابُ
تَكْبُرًا..
وَتَغَرَّدُ الْأَحْجَارُ..

/

تذكُرِينَ القمر
وهو يقتربُ منكِ..
وَحِينَ تَعَثَّرَ بَيْنَ يَدَيْكِ
ضَحِكْتُ
فللم أضاءهُ
واستدار..؟

/

راحت
تُعدِّدُ آهَاتِهَا السَّحَرِيَّةَ
في القُبَلَاتِ الطويلة،
ثُمَّ
تُجَمِّعُهَا في إناء!.

/

وهنا سعادُ
لقد تفجَّرَ جسمُها ألقاً
ولحناً،
ونداءً نهديها
يُبَعَثُ في لحاظك
ألفَ معنى..
ودخلتُ في نَعَشٍ من التَّفاحِ
يُسْرَعُ بي إلى النار..

/

زَهْرُها
فيه كُلُّ النوافذ مفتوحة
وَكُلُّ النوافذ موصدة
وهاويةٌ قادمة..

/

عيونٌ
يعرفُ السَّهْمُ
كيف يُغادرُ منها
إلى كُلِّ قلب.

/

زَهْرُهَا
يتبارى مع الجمرِ
دونَ رماد..

/

(مسودة)

دَخَلْتُ ..

فَتَنَفَّسَ جِمْراً رَقِيقاً

على كُلِّ ذَاكَ الرَّمَادِ

الذي كان فوقَ الوجوه

وفوقَ المقاعد،

فوقَ الكؤوس

وفوقَ السَّهَرِ.

كنتُ أَرْقُبُ ..

كيف تكونُ الزلازلُ حقلاً

كيف تكونُ البراكينُ داليةً ناضجة

وكيف أكونُ أنا

حينَ أصْنَعُ من كُلِّ ذَاكِ

جواداً مُكْرِراً مُفَرِّراً

أَصُولُ به وأَجُولُ

أمام ارتعاشتها المُقَمِّرة

وهي تضحك!.

أيها الجمرُ
إني رماد،
أتعلم؟
منذ الولادة كنتُ رماداً
ولا جمرَ لي
أستقي منه معنى أكونُ وألا أكون..
أغثني يا جمر
حوّل دمي المتُرمّدِ
شِعْراً.

(مبيضة)

دَخَلَتْ ..

فَتَنَفَّسَ جَمْرٌ رَقِيقٌ

على لفتات العيون

وفوق سُبات المقاعد،

وَرَنَا كُلُّ كَأْسٍ إِلَى آخِرِ،

كَانَ مُتَشَيِّئاً

وهو يُحْصِي البراعمَ في شفتيها..

وحامت على كل ركنٍ
 فراشةٌ شعر..
 كان عيدٌ
 يُسامرُ عيداً على ضفّةٍ ثانية،
 وحين أتاني الصدى
 ليوقط أجنحةً ظنّها في الدماء
 لم يجد
 غير تلك الطلول البعيدة..
 عمّنا يا امرئ القيس
 لما طولك عنقاءً باقيةً
 كلّما درّست
 نهضت في دمي مرّةً ثانية؟

الحِياذُ الذي يترأى على لثغات يديها، على لفتتها،
على الحاسِبة، غِمةٌ كاذبة. هيَ تعرفُ أن الذين أتوا،
يسُتروَن نواياهم بشراء البصل، أو الجبن والزيت،
أو ما تَأَنَّقَ فوق الرفوف السَّحيقة، لا يقصدونَ
سوى فرح الورد في وجنتيها، لون اللهب المغرد
في شفتيها، وبوح العيون التي أنهكت -في تصيّد
أشعارها الشاردات- خيولَ اللغة. ها أنا أشتري
بصلاً للفرح، بعد أن عَرُبَ العُمُرُ في بصلٍ للبكاء.
يا لهذا العناء!. كيف يحتملُ القلبُ إذ ينضج البحر
والزَّهر، والقمر المتفيرز، والناس.. والشوق لا
يستطيع سبيلاً إلى القطف؟. لا شيء غير البصل،
يسوقُ الهديلَ لأوكار قلبك، يسوقك نحو مدارس
لبنان، طفلاً خبيثَ البلاهة، في الأوّل الابتدائي.



III



لماذا يراك السؤالُ
أباه؟

/

هو شمعٌ
ما أضاء الطريقَ
للشمس.

/

قلبك يُحب مصابيحَ
تهبُّ الغافلين عن الهاوية
الخطوة التالية..

/

فَزَعْتُ
إِلَى كُلِّ مَا يَتَخَطَّى الْقَنَادِيلَ
يُسَلِّمُنِي
لِلذَهْوَلِ الطَوِيلِ..

/

كَيْفَ جِئْتَ مِنَ الشَّمْسِ
وَالْحُلْمِ..
كَيْفَ تَجَسَّدْتَ عِيداً
نَقِيّاً عَلَى كَبْدِي؟

/

سَفَرٌ آخَرٌ..
فَاتَّخَذَ جَمَلَ الصَّيْتِ
حَتَّى انْتِهَاءَ دِمَائِكَ،
أَوْ فَلَئِمْتُ
فَجَاءَ
بِالطَّبُولِ الثَّمِينَةِ.

/

يَا هَذَا الَّذِي
مَا زَالَ نَوْءٌ غَامِضًا
فِي بَاطِنِ الْأَغْصَانِ..
هَيَّا
انْهَضْ.

/

تُراهِفُ مِنْ سَمْعِهَا:
مَنْ سَيَعْرِفُ
فَجَرَ الْمَخَاضَاتِ،
مَنْ يَبْدَأُ الْخُطْوَةَ الصَّاهِلَةَ؟

/

الْحَيَاةُ اسْتَفَاقَتْ
عَلَى نَفْسِهَا،
اسْتَفَاقَتْ،
وَأَعْطَتْ مَوَاسِمَهَا..

/

مُتَزَابِقُ الْخُطُواتِ ..
أَطْرَقَ زَهُوهُ
وتَلَعَثَمَتْ، في رَأْسِهِ،
الأفكارُ ..

/

تَصْطَفِقُ الأَسْماعُ
فِيهِ
وتُعْشِبُ الأَذْهَانُ.

/

لا يخاف
لا يتلفّ
لا يتفاوَت
في اللحظة الفاصلة.

/

وانقَضَ
يرتجِلُ البطولةَ
طامِحٌ
يَقْظُ
يجرَحُ مُقْلَتِيهِ الثَّارُ..

/

رَجُلٌ طَاعِنٌ فِي الزَّمانِ
طَاعِنٌ فِي المَكانِ
طَاعِنٌ فِي مَحَبَّةِ البَشَرِ،
يُقَسِّمُ جِسْمَهُ
فِي الجِيعاءِ..

/

تَلْظِي
عَلَى شَفاهِي
بَوَّاحٍ صامِتٍ،
شُعْلَةٌ
بِدُونِ أَوَّارٍ..

/

حَمَّحَمَ
حتى تهْدَلْ لونُ الشَّجَرِ،
وحتى استَحَالَ الصَّهِيلُ الْأَغْرَ
دُمِيَّةً
من حجر.

/

عَنْ قَبَسٍ يَهْدِيهِ
يَبْحَثُ فِي الظُّلُمَاءِ..
وَالنَّجْمُ، فِي عَيْنَيْهِ،
مَعْقُودٌ..

/

أين أنت؟
مُنْذَ نَسْرٍ لَبِيدٍ
تهَجَّيْتُ خَطْوَكِ
فوق الصخور وفوق المياه..

/

خُذْنَا بِقَسْوَةِ أُمِّ،
أَرْجَعْنَا صَغَارًا..
فقد كَبُرْنَا فِي الهَاوِيَةِ،
أَيُّهَا الْوَهْمُ
يَا زَوْرَقًا فِي الْمُحَالِ..

/

هَهْ .. عَمَّدَ رَوَاكَ
بِطَّءِ الْعَصَافِيرِ
وَهِيَ تُزَاوِلُ أَعْشَاشَهَا ..
خَلَّى عَنْكَ الظَّنُونَ الْجَمِيلَةَ
وَالْغَسَقَ الْمُتَأَهَّبَ ،
إِنَّ الرِّيحَ كَاسِيَّةٌ
مُثْقَلَةٌ ..

/

أَعْطَيْكَ وَعْدًا نَقِيًّا
نَقَاءَ غَدِيرِ امْرِئِ الْقَيْسِ
أَوْ جَمْرَةٍ سَاهِرَةٍ
وَجَدْتَ نَبْضَهَا
فِي ذِرَاعَيْنِ نَخْلِيَّتَيْنِ ،
أَنْنِي
سَوْفَ .

/

جاءوا يرفلون
بِكُلِّ مَا حَنَّتْ يَدَانِ
لَنِيْلِهِ..
أَوْ أَكَمَلَتْ عَيْنَانِ
تَوَقَّعُهُمَا
إِلَيْهِ..

/

تَسَابَقُوا مَرَحًا..
كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ نَعْمٌ،
كَأَنَّ جِرَاحَهُمْ
أَوْتَارٌ..

/

ما الدَّهْرُ إِلَّا
خُلُجَةٌ
في لقائنا السَّكران.

/

بَقِيْتُ
يَزْرَعُ لي التَّفَاوُلُ
ما سَتَحْصِدُهُ رِغَابِي،
وَيَشُدُّني أَلَقُ
نَذَرْتُ لَهُ اغْتِرَابِي..

/

كَيْفَ أُحْرِقُ مَاضِيَّ
حَتَّى أَجِيءَ إِلَيْكَ نَدِيًّا؟
أَعْطِنِي
جَمْرَةً وَاحِدَةً
لَأَجْعَلَ مِنْ كُلِّ مَا قَدْ مَضَى
رَمَادًا
وَأَجْعَلَ مِنْكَ
صَبَاحًا
إِلَى اللَّحْظَةِ الْآتِيَةِ.

تشظّيتُ،
علّقتُ أزهى الفصول؛
بيتنا،
لثغات سلام،
مناديل فيروز،
ما ضمّت المكتبة،
وتلك التي لم تزل ساهرة..
وامتطيتُ جواداً مهيباً
يُلاحقُ
ما غامَ في الذاكرة.

وَيَنْزِفُ مِنْ قَلْبِهِ لِمَحَاتٍ
مِنَ الضُّوءِ وَالشُّوقِ
لِلْقَادِمِينَ،

وَمِنَ الدَّمْعِ لِلذَّاهِبِينَ
حَيْثُ لَا تُؤْمَنُ الْبُوصَلَةُ..
وَبُعَيْنَيْنِ لَا تَعْرِفَانِ التَّلَقُّتَ

يَبْكِي
بِدَمْعٍ خَفِيِّ.

ألا

اغْضَبْ..

ينمو فيه نبضُ الطفل

وهو يقولُ للأم:

لماذا ليس قمرٌ؟

لماذا ليس ريشٌ

أطيرُ به إلى النجمة؟

وتصرُخُ كُلُّ أعماقي:

ألا

اغْضَبْ، لُعِنْتَ!

تَقَحَّمُ الظُّلْمَةَ، تَقَحَّمُهَا..

بعد أن دخلَ القلبُ
صحراءَ أيامهِ الطَّاعنة،
لم يبقَ
مِنَ البحارِ التي
كان يمشي عليها
أو النهر الذي
كان يعبرُهُ مرَّتين
غيرَ دُمى الذَّاكرة؛
يُنَادُمُهَا
وَتُنَادِمُهُ
حينَ تعوي ذنابُ الليالي الطويلة.
ولكنه
يَسْمَعُ الآنَ قُرْبَ الشَّغافِ
حَفِيفاً
كضحكِ المرايا إذا
أترعتها نهودٌ مُراهقةٌ
نَسِيتَ ظِلَّهَا
في أتونِ السَّهَرِ.

يا سعادُ التي زرعت

في مفاصلنا

نخلةَ الانتظار،

ومدى الأثرة..

ها

خُذي زُرقةَ القلبِ

وانتشري كالمحار

في شِغاف الصِغار

في حُطاهم

إذا يَمِّموا المدرسة..

إذا أقبلوا والنهار..

تفتّحت غمامةُ الصور.

تدلّت الأيامُ بالمحار

والوجوهُ بالثَّمَر.

نما القمر..

ترجّلت نوافذُ من صهوة المساء

وانفتحتُ أُخر..

وسارت الأحلامُ في الشوارع،

واحتقنت حقائقُ السّفَر

بالبرقِ

بالتاريخِ

والبشر..

وحينما عَبَرَ
آخِرَ سورٍ يفصلُ المدينة
لم يرَ غيرَ بُقعةٍ من الدماءِ
ورائحةٍ لموكبٍ ينأى
من العَجَرِ،
وجذرَ زهرةٍ صغيرٍ
ينقُرُ الحَجَرَ،
وهوَّةٌ فاغرةٌ تحوِّطُها
وهوٌ
يُحاولُ المطرَ.

- لماذا؟

هل الليل

يعدُّ وراءك وحدك

مُفترساً

غادراً

في أمانٍ من الفجر؟

لماذا

تقول لجرحك: أكمل خطاك؟

- لأن الحياة التي

وهبتنا الأمومة

والدفء

والأمنيات الطويلة..

قد أصبحت عاهرة.

- لتكن داخلَ الوقت!؛
صَفَّقْ لنهرٍ يجفُّ على عُدِّهِ
مثلَ موتٍ طويلٍ .
وخذ حَفَنَةً
من أعاصيرِ
واقذِف بها شَجَرًا
لا يزال يحنُّ
إلى ثمرٍ ناضجٍ
واقطافٍ نبيلٍ .
لا تُقل: أصبحَ الوقتُ قَبْرًا!،

فهذا زمانُ التَرْجُلِ
عن كُلِّ قافيةٍ
وصهيلٍ .

- كَيْفَ لِي أَنْ أُغَادِرَ ذَاكَرَتِي؟
أَنْ أُغَادِرَ
كُلَّ حَقُولِ السَّنَابِلِ، تِلْكَ الَّتِي
نَضَجَتْ فِي الْفُؤَادِ؟

- خُذْ قَلِيلًا مِنَ الزَّعْفَرَانِ
مِنَ الشَّيْخِ (مَتَوَلَّى)،
وَرُجُجَاةَ مَاءٍ وَرَدٍ
مِنَ الشَّيْخِ (صَدَّامِ عَبْدِ الْمُتَجَلَّى)،
ثُمَّ امْزُجْهُمَا مَعًا، وَهَنَّاكَ
سُتُغَادِرُ كُلِّ شَيْءٍ.
- سَأُجَرِّبُ..
- جَرِّبْ. وَحِينَ تُغَادِرُ نَفْسَكَ
قُلْ لِي.

أُنَاجِيهِ..

فِينَمُو الضَوْءُ فِي أَوْرَدَةِ اللَّيْلِ،

وَيَطْفُو الْحَجَرُ الْغَارِقُ

فِي هَاوِيَةِ الْأَضْلَاعِ،

وَيَنْدَى الْأَمْسُ

وَالْيَوْمُ

وَيَأْتِي الْغَدُ

بَحْرًا وَادْعًا

يَحْمِلُ فِي الْكَفِّ لَآلِيهِ..

أُنَاجِيهِ..

فَلَا أَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ يَجِيءُ الزَّهْرُ

نَشْوَانَ

يَرَى مَيَّةً تَنْسَلُ

مِنَ الْأَكْهَامِ فِي الْغَيْبِ

وَتَأْتِيهِ..

ألا

يا أيها البرقُ اليمانيُّ الذي

ضَلَّ زماناً

ثُمَّ عادا

فرأى النارَ رمادا

ورأى النهرَ

وقد صارَ سراباً

ووهادا،

قد تأخَّرت..

تأخَّرت كثيراً.

Ω

ستتعبُ

حتى اللجوء إلى شجرٍ

لا ظلالَ له

حين تبحثُ عنك.

لقد ضعتَ في غابةٍ

لا نهارَ لها..

ضعتَ حين استكنتَ إلى صوت جدِّك

وهو يحدثُ

في رهبةٍ جارفة

عن قُرى الجنِّ في اللا مكان..

ضعتَ حين سدرتَ طويلاً

تُفتِّشُ عن اللؤلؤ في الدنان،

وحينَ

تطربُّك الانحرافُ عن السير

فوق الطريق المعبدِ

حيثُ يموتُ الرّهان..

وضعتَ
لأن البراكينَ داخلَ قلبك
جاوَلها الصَّمتُ
حتى الهوان..
وضعتَ لأنَّك وحدكُ
كُنْتَ تُفَتِّشُ في الأرضِ
عن لُغةٍ واحدةٍ،
وضعتَ
لأنَّك أنتَ.

مُرَّي ..
واحمل الصباح
سراجاً
لمتية الظلام في أبعادي ..
وتوقف هنا
بوادٍ من الأحلام
لم يرتعش،
حيثُ اللظى
لم يجد ما يتحداهُ
غير موجٍ عنادي ..
مُرَّي ..
فَجَرَّ الينابيع في قلبي،
حوَّلَ عني طِبَاعَ الجماد ..

يا كنوزاً
ستنسأبُ إلى قَطْفِها
أَكْفَ العِبَادِ،
أَعْطِهم ما يُريدونَ؛
حُقولا نَشوى
وزَهو حَصَادِ..
أَعْطِهم
ثُمَّ رَوِّني.. فَأنا
كالنَّاسِ؛
روحٌ ظمَأى
وقَلْبٌ شادِ..
وأنا
واحَةٌ مِنَ الحُبِّ
ما أَحوجَ أَطيَّارَها
إلى صَيَّادِ.



IV



زمنُ البحر
أغمضَ أيامه.

/

وتُجادِلُ في الماء..

/

كالنَّبع؛
يندى حوله أملٌ
ذاوي..

/

ماذا سيصنعُ هذا الفنَّارُ
بأسْمائه
وهي تهوي في فُوْهة الرَّمْل
بعدَ ذاكرةِ الأُسْرعة؟

/

واقفٌ
يتَهَجَّى الأساطيرَ
في لُغةِ المَوْجِ..
يتملَّى الزَّحَافَ الذي
لا يكادُ يبين..

/

وَمَوْجُكَ! يَا لَشَيْخٍ رَاعِشٍ
يَتَمَثَّلُ الْأَشْعَارُ..
يَعْذُلُنِي
إِذَا جَفَلْتُ خُطَايَ
وَيَمْسَحُ الْخَجَلَا..

/

يَعْرِفُ الْمَوْجُ فَارِسَهُ
كَالْجَوَادِ؛
أَعْيْنَاهُ فَوْقَ الضَّفَافِ
أَمْ عَلَى الذَّرْوَةِ الصَّاعِدَةِ؟.
تَشَجَّعْ وَقُلْ:
أَيْنَ أَنْتَ؟

/

هذا الخليج الطّاعنُ

السّاجي

مثل مائدة مشاعةٍ

من ضلوع كثيرة..

هل نُسَمِّيه كهفًا من الماء،

أم عرقًا مُتصِّبًا

من جبهة التاريخ؟

/

ها أنا أصدُّ الآن..

تصمُّتُ كلَّ الغصون التي

يهمسُ الماءُ فيها،

ويبعُدُ.. يبعُدُ

ذاك الذي كان يوماً ينابيعَ

اخضرَّ منها،

فيطوي الخليجُ أغانيه..

/

راوِحِ خُطَاكَ
على الوهم
حتى تجيء!
أيا مَنْ غرستَ أغانيكَ في البحر
حتى تجيء
شُهْبٌ في الخيال تنمو..

/

سأقتنصُ بخيالي
كُلَّ هذا السحاب الأعمى
ثمَّ
أرجمُ به البحر..
لا جدوى للمطر.

/

سوف أبقى
أُحَدِّقُ في الماءِ
لا لأنظُرَ وجهي فيه
بل لأصْرُخَ في وجهه
كيف لا يستحي من تدفُّقه
راوياً
هذا الفناء؟

/

أيها الشعر:
كيف خرجت من البحر
مُختلساً غفلي،
واختفيت؟
إلى أين أذهب؟

/

هُوَ حَظِّي!
أَضْجَرَ حَتَّى النُّوَارِسَ حِينَ تُرْفَرُ
وَالْبَحْرُ يَفْتَحُ زُرْقَتَهُ
لِيُغَاذِلَهَا
أَوْ تُغَاذِلَهُ..

/

كَيْفَ تَهْوَى أَغْصَانُ
خَرِيفَهَا؟
وَكَيْفَ يُعَادِي رَبَّانُ
شِرَاعَهُ؟

/

ما الذي يفعلُهُ النَّهْرُ؟
يفعلُ الحُبَّ في الكونِ،
العِناقُ الذي يلتقي فيه
كُلُّ الجحيمِ
والفراق الذي
يلتقي فيه
كُلُّ الجحيمِ.

/

رَفَّ الزَّوْرُقُ الظَّمَانُ
بالبابِ،
ومجدافٌ من الضحكات
راحَ يُخَضُّ أعصابي.

/

تُمرُّ النوارسُ من حوله
فِيُكَحِّلُ عَيْنَيْهِ
مِنْ فَرَحِ الْمَاءِ
يَقْطُرُ مِنْ رِيشِهَا..

/

خولةٌ غيمةٌ
تُصْغِي إِلَى الْمِيناءِ،
وَفِي أَجْفَانِهَا
تَتَمَدَّدُ الْوَاحَاتُ..

/

نَأَتْ زُرْقَةُ الْبَحْرِ..
هَاجَرَتْ،
وَالْحُلْمُ مُتَّشِحًا بِالَّذِي
لَمْ يُفِقْ بَعْدُ فِي النَّخْلِ،
وَالْبَحْرُ يَنَآى..
مَنْ أَنْتَ؟ مَنْ أَنْتَ؟
أَيْنَ الْجِرَاحِ الَّتِي
كَانَتِ الصَّبَوَاتُ الْبَطِيئَةُ تَحْفَظُهَا؟
أَيْنَ الشَّحُوبِ الَّذِي
كَانَ يَخْفِقُ
سَارِيَةً فِي الْوُجُوهِ؟

بَحْرُنَا ثَاكِلَةٌ!
إِنَّهُ يَتَدَاخَلُ
فِي نَفْسِهِ الذَّاهِلَةَ،
ثُمَّ يَحْثُو الضَّبَابَ عَلَى وَجْهِهِ
وَيُعَدِّدُ، مُنْكَسِرًا، كَيْفَ كَانَتْ
بِهِ الْأَشْرَعَةُ
تَتَبَارَى
إِلَى مَوْجَةٍ
فَاصِلَةٍ.

دارين

في شفاهك رائحةُ البوح.

إنَّ العصافيرَ هاجعةٌ

والينابيعَ ما استكملت عُريها،

والحنينَ الذي افترعَ الليل

ما زال مُتظراً في المدارات؛

هل تقبلينَ اللآلئَ جاريةً

إذ يرادُكِ النَّومُ؟

تنسُجُ من قَصَصِ البَحْرِ والرَّيحِ

-فيما مضى-

هوَدَجاً لِرُقَادِكِ؟

دارين: بوحى لي الآن..

هيا!

اكشفي لي الجراح التي

نهلتها الرِّماح

وتلك التي وُضِعَتْ في الحَقَائِبِ..

كُلَّ السَّنِينَ الطَوِيلَاتِ
«يَخْرُجْنَ بُجَرَ الْحَقَائِبِ» مِنْكَ،
وَمَا زِلْتُ مُفْعَمَةً كَالْعَنَاقِيدِ،
نَاضِجَةً كَعَنَاقِ الْمَحْبِينَ،
حَسَنَاءُ
حَسَنَاءُ..

حَتَّى هَطُولِ الصَّبَاحِ.
- بَلَى، كَانَتِ الشَّمْسُ فِي الْبَحْرِ..
وَالنَّخْلُ - فِي وَلَهٍ - كَانَ يَرْقُبُ رَوْعَتَهَا
وَهِيَ
تَسْتَنْضِحُ الْمَاءَ،
وَالْعَاشِقُونَ يَرْفُونَ لَحْنًا فَلَحْنًا..

وما كُنتِ، دارين، بُجَرَ الحَقَائِبِ،
 كُنتِ الصَّبَايَا الحَيَّاتِ
 يَمْلَأْنَ أَعْيُنَهُنَّ انتِظَاراً عَلَى الْبَحْرِ،
 وَالْبَحْرُ يَبْرُحُ أَوْ صَافَهُ الْأَزَلِيَّةُ؛
 يُبْدِي لَهْنُ الصَّبَابَاتِ،
 يَضْحَكْنَ، ثُمَّ يُغَادِرْنَ..
 وَالزُّرْقَةُ الْمُسْتَبَاحَةُ ذَاهِلَةٌ!
 وَالنَّوَارِسُ فِي الْبُعْدِ
 يُعَشِّبُهَا الْفَرَحُ الْمُسْتَهَامُ.

كَذَا كُنْتُ دَارِينَ..

هَكَذَا كُنْتُ

سَامِرًا

قَمَرِيًّا

يَتَلَوَّى فِيهِ عَلَى الْبَوَّاحِ بَوَّاحٌ،

وَشَرَاعًا

تَحِيدُ عَنْهُ الْأَعَاصِيرُ

وَيَنْمُو مِنْهُ - عَلَى الْمَوْجِ -

جُرُوحٌ.

Ω

ما الذي سوف يبقى
 إذا رُحْتُ
 أنزعُ عنكَ الأساطير،
 أرمي المحارَ الذي في الخيال
 إلى الوحل؟
 ماذا سأصنعُ بالأرقِ العذب،
 بالجراحاتِ الأنيقات،
 إمّا لقيتِكَ دونَ الضبابِ الجميل؟
 كما أنتُ، كُن لي
 كما أنتُ؛
 مُعتكراً، غارقاً في السفوح البعيدة
 مُختلطاً بالثمار
 ومُكتئباً
 كالعيون الوحيدة..

بيني وبينك
هذا الضبابُ الذي
يمنحُ الحلمَ أشواقه،
يمنحُ الوهمَ
أجنحةَ الماء..
ها أنت فيه غويٌّ
كنافورةٍ من نخيل،
كأرجوحةٍ من هديل.

يقولون
كُنْتَ هُنَا مُنْذُ أَوَّلِ فَجْرِ،
وَأَبَاؤُنَا
بَذَرُوا فِيكَ أَحْلَامَهُمْ، بَذَرُونَا
وَلَمَّا نَزَلَ فِي الْأَمَانِي، عَلَى الْمَوْجِ..
وَكُنَّا حُقُولَ الْهَوَى
فَوْقَ زُرْقَتِكَ الْبُكْرِ،
كُنَّا الزَّغَارِيدَ
تُشْعِلُهَا الْفَاطِمَاتُ إِذَا
مَا أَطْلَوْا مَعَ السُّحُبِ:
دَانَهُ.. دَانَهُ.. لَا.. دَانَهُ..

ها نحنُ جئنا
ولسنا نريدُ اللآلئ
لسنا نريدُ الذي لم يزل
نازحاً في امتدادك،
إنّا نريدُ الوجوه التي
كانَ آباؤنا يبذرونَ على الموج، أسماءنا،
أن نسيرَ على الأرضِ دونَ انحناء.
وها أنتَ كالخُزنِ تنداح
تنداحُ دونَ انتهاء..
وبيني وبينك
هذا الضبابُ الجميل.

- ترمّدت الشُّهْبُ الحُلْمِيَّةُ..
يلبسُ عُري الصّخور هو الآن،
لا ماء في الماء..
أوقفني مرّة نورسٍ كان في البُعدِ،
أسمعُ من ريشه المتقاطِرِ
لحنًا
وأخيلةً
تغسلُ الموتَ من كلّ أوهامنا المُشرَّبَةِ بالخوفِ..
لكنّه
ذابَ في الملحِ.

أَعْدُو قُرُونًا عَلَى السَّيْفِ،
أَسْأَلُ كُلَّ الشَّمُوسِ الَّتِي اخْتَبَأَتْ فِيهِ،
كُلَّ الْحَرَارَاتِ
كُلَّ الرِّيَّاحِ
الْمَرَايَا

الْمَرَاجِبُ:

سَرَبْتُ إِلَى أَيْنَ، يَا زُرْقَةَ
عَلَّمْتَنَا الْأَنَاشِيدَ؟
كَانَ الْأَصِيلُ شَهِيًّا، كَنَهْدَيْنِ
مَا التَّفَقُّتَا بَعْدَ..
خَامَرَنِي غَزَلٌ مُثْقَلٌ بِالْعَصَافِيرِ،
لَكِنِّهَا لَمْ تَحْجِ؛
زُرْقَةُ عَلَّمْتَنَا الْأَنَاشِيدَ
أَطْفَأَتْ قَلْبِي.

- جميلٌ سُهادُ المحبِّينَ

حين يكونُ الظَّلامُ

خليجًا،

وتأوي إلى الأرضِ أنهارُها..

ثم ينأى الخليجُ الذي

يحملُ القلبَ،

ينأى إلى حيث يبقى الضباب

الحداء

الدليل..

هناكَ

أقتل هذا الكمينَ المُخاتَلَ

أو ما يُسمَّونه شعراً،

وأرقصُ.. أرقصُ والكأسَ

والذكرياتِ الحَيَّاتِ عن أمس

أو عن غدٍ سوف يأتي،

وبيني وبينك

هذا الضبابُ الجميل.

ها هنا
حيث لا يرى الحب والشوق
طريقاً

إلى قلوب العباد،
ويقرُّ الصُّباح، خوفاً من الأعين
حتى كأنها من قتاد..

وتلوح النجوم
كالجثث الشَّوْهاء
حَفَّتْ بها ثيابُ حداد،
حيثُ

ينسى البحرُ الطُّروبُ
تثنيته

فيغريكَ أنه من جماد..

ها هُنا..

حيثُ يَأْنِفُ الزَّهْرُ

أَنْ يُبْدِي شَذَاهُ

أَنْ يَعْتَلِي فِي رَمَادِ

كُلِّ شَيْءٍ ظَامٍ إِلَى

شُعْلَةٍ رَعْنَاءٍ

تَنْفِي عَنْهُ ظِلَامَ الرُّقَادِ..

أَهْنا تُرْبَتِي؟

أَهْذي التي انْسَلَّتْ، رِهَافًا، مِنْ غِمْدِهَا

أَجْدَادِي؟

أَهْنا

سوف أحيَا؟

أعيش؟

دونَ انتظارٍ لِفِرَاقٍ

أَوْ شَهْقَةٍ

لِمَعَادٍ

يا حياةً اركُضي..
فقد
ذُبُلَ النُّورُ
وشلَّ العَناءُ
صَوْتَ الحادي..
لن تنالي قَبْراً
كبيراً
يُضْمُّ الناسُ
في غَيْرِ هذه الأبعادِ..

أَهْنَأ؟!

بَعْدَ رَوْعَةِ الْقِمَمِ الْخَضِرَاءِ

تَرَوِي تَطْلُعِي وَأَتَّقَادِي؟

وَعَيُونِي سَكْرَى

تَعْبُ رَحِيقَ الْحَيَاةِ

مِنْ أَوْلَادِي، وَرِفَاقِي

الَّذِينَ غَرَبْتُ هَذَا الدَّهْرَ

حَتَّى زَرَعْتُهُمْ فِي فُؤَادِي؟

ذَكَرِيَا تِي أَخْطُرِي..

فَأَنْتِ بَقَايَا الْكَأْسِ

مِنْ عُمْرِ نَشْوَةِ

وَحَصَادِ..

سوف أحنو عليك،
أصنعُ مِنْكَ مائي
وزَادي..
أجلوكِ واحدةً،
ودروباً
أمشي بها مُثْقَلَ العَيْنين بالزَّهر،
وطيوراً
أفرُّ فوق جناحيها
بعيداً
عَنْ غُرْبتي في بلادي.

تَنفَّسَتْ الجداول،
سالت الأَكْمامُ أغْنِيَةً من الألوان،
وللأبعادِ
بَوْحُ الماءِ وهو يَنْسُجُ الشُّطْئانَ.
تَبَرَّجَتِ السَّفُوحُ البِكرُ،
نَفَّرَتِ الحِجَارَةُ صَمْتَهَا الأبدي
بالأغصانِ،
وساجِ أَنْتِ كالأكفانِ.

وجارحةٌ هي الأصداءُ
باقيةٌ

تُديرُ بذهني الأقداحَ
لمن عبَروا..

ترنّحتِ المعابرُ بالخطى
والشمسُ

والأثمار..

سواي، وضجّت الأفراح..

سواي، وضجّت الأحزان..

وساج أنتِ كالأكفان.

وَمَرَّ الْعِيدُ بَعْدَ الْعِيدِ
 مُغْتَرِباً عَلَى الْأَبْوَابِ
 وَمَسْفُوحاً عَلَى الطَّرِيقَاتِ ..
 وَلَمْ تَسْمَعْ خُطَاهُ الْبَيْضِ، لَمْ تَسْمَعْ .
 وَفِي السَّاحَاتِ
 بَرِيقُ الضَّفَّةِ الْأُخْرَى عَلَى الْأَثْوَابِ،
 وَمَجْمَرَةٌ مِنَ التَّارِيخِ
 فَوْقَ تَوْهُّجِ الْأَطْفَالِ ..
 وَتُجْهَشُ حَوْلِي الْأَسْوَارِ
 وَالْمَذْيَاعِ
 وَالْأَقْفَالِ:
 صَوْتُ السَّهَارِ يَوْمَ مَرَّوا عَلَيَّ، عَصْرِيَّةَ الْعِيدِ ..
 فَتَنْحُبُّ فِي دَمِي الْأَكْوَابِ
 وَتُثَلِّجُ حَوْلَكَ النِّيرَانَ
 وَسَاجٍ أَنْتِ كَالْأَكْفَانِ .

لِبَقِيَا

من نثار الرّيش
فوق تمزّق الأمواج،
لنورسك الذي
ما عادَ يمسحُ وحشة الآفاق،
سأحملُ واحة الأشواق..
وتبرّحُ قلبي السُّفنُ الشتائيّة..
وفيكَ توقّفَ الماضي الذي
نضجت به الأعناق
وما سقطت بكفّ الرّيح
لم تبرح أنثريّة
تُخلد فجأة الإشراق..
أجل، ها، تلك، قد زفّت..
هي العقبان
وساج أنت كالبركان.

Ω



v



لَا حُبَّ
يُضِيءُ أَضْلَاعِي..

/

قَدْ صَبَغْنَا اللَّيْلَ..

/

وَقَنْدِيلاً فَقَنْدِيلاً
تَخِرُّ بِرَاعِمِ الْأَحْدَاقِ..

/

الأغاني التي
علَّمتنا الجلوسَ على الجمرِ
قبلَ الأوان.

/

ويبقى هناك وليدٌ
نودُّ معاً أن يكونَ
وليداً لنا
في المدينة..

/

يا لساني
مالي..
كُلِّمًا أقبلَ الهوى
تنساني؟

/

أُحِبُّكَ..
لكن اللغات سَرَّابِيَّةٌ، فاعذُريني
كما تَعذُرِينَ الحَقِيقَةَ
أو تَعذُرِينَ السَّحَابَ..

/

وَأَرَاكِ انْكَمَشْتَ!
يَنْهَشُكَ الصَّمْتُ..
وَتَنْسَلُ، مِنْ يَدَيْكَ،
المعاني..

/

وافترقنا
مِلءَ الرَّدَى..
وَسَيَفِي دَمْعُ.

/

أينها مني
نجواكَ
في صُبحِ نشوانٍ، لَهُ
في جوانحِ الليلِ
لَسْعُ.

/

لماذا أصبحت
نَبْعَ سِهَامٍ
لفؤادي
وكان لي منك
ضِلْعُ؟

/

يَرِفُ صَفَاؤُكَ الْعَنَبِيُّ فِي قَلْبِي
عَنَاقِيدًا عَنَاقِيدًا..
وَدَالِيَةً مِنَ الْأَحْلَامِ
سَاهِرَةً
عَلَى رَفَقٍ
تَنْفَرُ حَوْلِي الْبِيدَا..

صَدَحَ الْبَابُ..
فاشربي اللحنَ يا أذني
واروي به
ظِماءَ الأمانِ..
هي!
إني أَحْسُ هِرْوَلَةَ السَّحْرِ
بقلبي
وعُقْدَةً فِي لِسَانِي..
هي!
أطفئْ يا دهرُ
خَطُوكَ
إصغاءً لنجواي،
واركُضي
يا معاني..

لَيْلُ زَوْرَقٍ
يَحْمِلُ الْحُبَّ،
يُسَاقِطُ النِّجَمَ
أَضْوَاءً
عَلَى خَطْوِ عَاشِقٍ
حَيْرَانٍ..

تَرْفَقُ..
هُنَا سَتَنْبِضُ ذَكَرِي
مِنْ غَرَامٍ
وَتَلْتَقِي شَفْتَانِ..

رَأَيْتُكَ
إِذْ كَانَ قَلْبِي صَغِيرًا
يُسَائِلُ سَرَبَ الْعَصَافِيرِ
عَنْ عُشِّهِ الْمُتَلَفِّعِ بِالْغَيْبِ
أَوْ بِالسَّرَابِ..

وَرَأَيْتُكَ
إِذْ أَعْلَنَ الشَّعْرُ
نِيرَانَهُ..

وَرَأَيْتُكَ
إِذْ أَصْبَحَ الْعُمُرُ حَقْلًا
يَحْنُ إِلَى الْقَطْفِ
حَتَّى الْغَصُونِ الْأَخِيرَةِ،
وَرَأَيْتُكَ..

تذكرين الشموع
التي اشتعلت في الضلوع،
وَكُنْتَ تُعَدِّينَهَا:
شمعة
شمعتان...
إلى أن يشيب السَّحَر
وندخل غيوبة السَّحَر
إذ تلتقي الضفتان؟

لم يقلها فمي،
قُلْتُهَا بيدي
بغيوم جيني..
ولكنها
لا تُحِبُّ اللغات، سوى
أن تكونَ ولادةً شيءٍ جميلٍ
يُغامرُ من أجله القلب..
ولكنني
لم أقُلها:
أُحبُّك..
إنَّ أبي
لم يقلها..

وتقولين لي:
سحائبك البكرُ
ظمَاءٌ
إلى عناقِ الصَّحاري،
والأغاريدُ، في حناياك،
تمتزُّ اشتياقاً
إلى فمِ القيثارة..
هكذا قُلْتُ،
والكأبةُ في عَيْنِكَ
جُرْحٌ
ينهلُ في أغواري..

مَضَتْ إِلَى غُرْفَتِهَا
إِلَى هَدْوٍ غُرْفَتِهَا
فَانْطَلَقَ الضِّيَاءُ
يَرْوِي الْغَرَامَ لَهَا،
وَالَّةُ الزَّيْنَةُ
تَحْكِي لَهَا
تَفْتَحُ الْفَتُونَ..
وَتُوبِهَا الْأَوَّلُ
فِي هُدْبِهِ
تَرْتَعِشُ الْأَشْدَاءُ،
فَعَاوَدَتْ سَعِيرَهَا
الدَّمَاءُ..

«أيها الجمرُ
يا أجهل الكائناتِ
وأكثرها رِقَّةً»
أريدُكَ أَنْ تَتَقَبَّلَ مِنِّي رَمَادِي..
لَقَدْ كُنْتُ جَمْرًا
كما أنتِ
حين انصبابِ النجومِ بِسْمَعِي
منها،
وحين امتدادِ البحارِ بعيني
لرؤيتها،
وها هي
قد أخذتْ كُلَّ نَجْمٍ وَبَحْرٍ
وراحتِ..
لم يبقَ لي غيرَ هذا الرمادِ الكثيرِ
كرمالِ النفودِ.
أَتَسْمَعُنِي أَيُّهَا الْجَمْرُ؟
إني على أَهْبَةِ ظَامِئَةٍ..
أَتَسْمَعُنِي أَيُّهَا الْجَمْرُ؟

يا صلاة النبي .
ليلة ناضجة ..
مدّت النار أعناقها في المزامير
حول الزوايا المظّهة الهائجة .
مطرٌ كان يستبطئ الليل ،
يُثقله بالبنفسج ..
شيئاً فشيئاً
يُهيّجُ اللدونة في حطب هامدٍ
ويهمي على ناظريه النخيل ،
يُنادي : ذراعيك
إني مطر ..

يا صلاة النبي..
يا مزاميرَ داوود،
يا لفتة النَّهْرِ
نحوَ الوراء،
أسرجوا لي الهواء..

Ω

حين يفردُ كل مساءً جناحيه؛
تدنو الغيوم الحزينة
تلك التي كُورَّت في النهار
لتهطل في كُل قلب.

حين يفردُ كل مساءً جناحيه؛
تجلو الكآبة مرآتها
تتعرى خالِبها المضمرة
تطمئن لأنبيائها
ثم تلبس ما يلبسُ العاشقون
لتدخل في كُل قلب
وتشرب مافيه من فرح
ومواعيد...

حين يفردُ كل مساءٍ جناحيه؛
تأخذ كأساً من النار
كأساً من الوهم
كأساً من الذكريات العتيقة
وتَهوي الصفاتُ لسيانها
وينشقُّ كل الذي كان
عن موسمٍ للذئاب..

حين يفردُ كل مساءٍ جناحيه؛
تدنو القلوبُ إلى بعضها
لتأكل من بعضها
وتسمع أغنية الليل
في شغفٍ زائعٍ
شغفٍ ذي محالب
شغفٍ مثل صحراء
يجأر فيه العدم..

حين يفردُ كل مساء جناحيه؛
تأتين..

لكن صوتك في مقبرة،
وخيالكِ

ذاك الذي يتدفقُ نهراً بذاكرتي

يتوسَّلُ ألا أراه،

أتوسَّلُ ألا أراه،

ويأتي الصباحُ

كما كان عند امرئ القيس

ليس أقل ظلاماً

من الليل.

Ω

دَعْ حَنِينِكَ مُتَنْظِرًا مِثْلَ جِدَارٍ كَادَ أَنْ يَنْقَضُ، مِثْلَ مَاءٍ
لَا يَرَى شَجَرًا، مِثْلَ رَمَادٍ فَقَدَ الذَّاكِرَةَ بِهَا كَانَ، مِثْلَ
هَوَاءٍ أَعْمَى.. فَلَا أَحَدَ فِي الْبَيْتِ.

دَعْ حُبِّكَ يَتَسَكَّعُ بَيْنَ ضُلُوعِكَ، بَيْنَ الشَّرَايِينِ الَّتِي
تَرَمَدَتْ. دَعْهُ لَا يَتَلَفَّتْ.. فَلَا أَحَدَ فِي الْبَيْتِ.
أَيُّهَا الْفَرْحُ الَّذِي كَانَ يَسِيرُ مَزْهُوًّا بَيْنَ الْحُجَرَاتِ، عَلَى
الْمَوَائِدِ، عَلَى طَرَقَاتِ الْبَابِ.. اذْهَبْ حَيْثُ شِئْتَ، فَلَا
أَحَدَ فِي الْبَيْتِ.

وَأَنْتَ أَيُّهَا الْبَابُ! كَانَتْ مُوسِيقَاكَ بِشَائِرَ بِالْمَوَاعِيدِ،
بِمَوَاسِمِ اللَّقَاءَاتِ، وَكُنْتَ مُتَنَشِّيًا كَصَدِيقٍ لِلْأَبَدِيَّةِ..
لِمَاذَا أَصْبَحْتَ أَبْكَمَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ؟ أَرَأَيْكَ تَقُولُ
بَاكِيًا: لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ فِي الْبَيْتِ.

كُنْتُ أَنْتَشِي بِزُرْقَتِكَ الْمُتَبَرِّجَةِ، أَيُّهَا الْبَحْرُ، بِشَدْوِ
أَمْوَاجِكَ الشَّاعِرَةِ. لِمَاذَا أَرَأَيْكَ رَاجِفًا، خَجَلًا، حِينَ
الْقَالِكِ؟ لِمَاذَا تَغَضَّنَ وَجْهُكَ، وَدَخَلْتَ مُسْرِعًا إِلَى
حَظِيرَةِ الشَّيْخُوخَةِ؟! لِمَاذَا أَرَى مَوْجَاتِكَ مِثْلَ
حَجَارَةٍ رَجَمٍ مُتَلَحِّقَةٍ؟. لَكَ مَا شِئْتَ يَا بَحْرُ.. فَلَا
أَحَدَ فِي الْبَيْتِ.

أما أنتِ أيتها المكتبة، فأنا أعشقُ الغبار الذي يتأبطُكِ
 كتاباً كتاباً. لقد كُنتُ أبحثُ فيكِ عن المعنى. أما
 الآن، فماذا أصنعُ بالمعنى، ولا أحدَ في البيت.
 قل لي أيها الزمن: هل أستطيعُ أن أتَنفَسَ القهقري؟
 إنَّ أنفاسي الآنَ نَجْهَلُ التكرار، لقد أَصْبَحَتِ أنفاساً
 صِنَاعِيَّةً مثل زهور الآنية، إذ لا أحدَ في البيت.
 أيها الشعرُ المتواري مثل عَوْرَةِ! لماذا تلوحُ لي الآن؟
 لقد انقرضتِ اللغة.. فما الذي يجعلني أُنْتَصِرُ على
 غيابك، ولا أحدَ في البيت؟.

وهذه الحديقة المنتظرة حول بيتنا.. ها هي تُنادي،
 تُريد أن ترى من تُفشي له عطرها، تُريدُ مَنْ تُساقطُ
 عليه بَسَمَات اخضرارها.. إنها تتلفَّت، تُعَوِّلُ، فلا
 أحدَ في البيت.

VI



وهاوِيَّةٍ وَأُخْرَى..

/

اَكْتَمَلَ السَّهْمُ،
وَانْدَلَعَتْ هُوَّةُ الْاِخْتِيَارِ،
وَتَضَمَّدَ جُرْحٌ
بِجُرْحٍ
فَعَارٍ..

/

لَشَعَةُ الْأَشْيَاءِ
تَلْدَعُ مُقْلَتَيْكَ
فَتَلْغَاغَانِ.

طِفْوَلةَ لَحْظَةٍ،
وَيُحِطُّ الْكَهْفُ
فَوْقَ الْكَهْفِ.

/

أَلَيْسَ هُنَاكَ فِي الْأَحْيَاءِ
فِي الْأَمْوَاتِ
غَيْرُكَ أَنْتَ؟

/

أَرَى خَيْلَةً
تُروى بالسَّرابِ..
أَرَى نَهَارًا
بِالْقَبَسِ الهَزِيلِ
يُنَارُ.

/

وَتَكَلَّمِ أَنْتِ!
يا قَبْرَ
يا مَذْيَاعِ
يا أَبْكَمًا عَلَى أَعْوَادِ..

/

يَا تُعْبَانَا
يُسَمِّي الشَّعْر:
سَوْفَ أَسْحَقُ لِسَانَكَ
بِقَدَمِي،
أَخْنُقُكَ
تَحْتَ وَحْلِ غَدِيرِ امْرِئِ الْقَيْسِ.

كَيْفَ أُمْسِكُ
بهذا الهواء الأرعن
لأَتَنْفَسَ
كما الأحياء؟
كَيْفَ أَسْتَدْرِجُ الشَّمْسَ
كي أرى،
والليلَ
كي لا أرى،
في آنٍ معاً؟

ليس لِلُّغَةِ مكانٌ هُنا..
هُنا لُغَةُ النَّبْضِ،
لُغَةُ الدَّمِ الْبَاحِثِ
عن شَريانِه،
لُغَةُ الْعَدَمِ
الذي نَزَعَ قَناعَهُ
فأَصْبَحَ شاخِصاً..

لا نَبْضَ
يُفْتَحُ فِي السَّكُونِ
نَوَافِذَ الْمَعْنَى..

لا نَبْعَ
يُقَسَّمُ جَسَمُهُ فِي الْوَقْتِ
كَيْ تَتَنَفَّسَ الْأَشْيَاءُ فِيهِ
وَتُفْصِحَ الْأَسْمَاءُ
عَنْ أَلْوَانِهَا الْأُولَى،
وَيَبْتَدِئَ الدَّوَارُ..

/

الكَابَةُ رَاهِبَةٌ!
لَا تَرَى وَجْهَهَا فِي الْمَرَايَا،
لَا تَنْتَظِرُ زَهْرَةً فِي الْحَدِيقَةِ.

/

غَفَا ارتعاشُ الكأسِ ..

لَا نَعْمَ

يَحْتَاحُ رَقْدَتَهُ

وَلَا خَمْرُ ..

/

مَا تَعْتَقَ

مِنْ كَرَمَةِ الْوَهْمِ

هَاتِهِ ..

حَتَّى أُضِلَّ رُوحِي، وَأَحْمِلَ

هَذَا السَّجْنِ ..

/

نَضَبَتْ أَقْداحُنَا
وَمَشَى بَرْدُ الْخُمُولِ،
وَاسْتَبَكَمَ الْعُودُ..

/

أَيَّامٌ
تَهْدُ أَعْمَارَهَا..
فَفِي كُلِّ لَحْظَةٍ
أُكْفَانُ.

/

أَرَنَا
كَيْفَ نَعْتَرُ عَلَى أَنْفُسِنَا
فِي هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ الْمُتَرَفَّةِ.

/

ذَبُلَ الدَّهْرُ..
والسيفُ التي
أُطِعمَتِ الظُّلمَ
غَضَّةَ الأشباحِ..

/

دائريُّ تاريخُك
مثل حلقةٍ مُفرغةٍ
حلقةٍ من طُغاةٍ
وسيفٍ جائعةٍ
وبُكاءٍ
ومواويل..

/

هَلِّلي
يا جِبَاهَنَا..
فَقَدْ مَحَوْنَا الْفَرْقَ
بَيْنَ الذُّرَى
وَبَيْنَ الْبِطَاحِ..

/

إِنَّكَ فِي قَبْضَةِ هُوَّةٍ جَائِعَةٍ..
فَقِفْ حَيْثُ أَنْتِ.
هُوَّةُ النَّاسِ
ذَاتِ قِرَارٍ،
لَكِنْ هُوَّتُكَ أَنْتِ
لَا قِرَارَ لَهَا.

/

مرضُ الهواءِ المزمنِ

أنَّهُ هَوَاءٌ،

ومرضُكَ المزمنُ

أَنْتَ إنسانٌ.

هذا عذابٌ.

/

أَنْتَ يَا صَنِمًا

مِنْ دَمٍ

ودموعٍ ..

/

الذين أراقوا على الوهم
أعمارهم،
الذين تشظَّاهم الشَّعرُ،
اللواتي احتقنَّ من القهر..
صَبَّوا أمانِيهمُ
في ربيعٍ سيأتي..
و حين أتى،
كان.

/

أَخَذَ الصَّوْتِ
أَخَذَهُ
لا تذكُر الخيلَ جامحةً..
للكتابةِ أعناقها الجامحات..

/

الكأبةُ تعرفُ منجلها
حين يجتازُ سورَ الحديقةِ
ضاحكاً للشجر؛
يندسُ ما بين أوراقها
وهي ترضعُ ضوءَ الصّباح
ويتركُ فيها خريفاً،
خريفاً صغيراً.

/

جياذُ الآمالِ
تخبطُ بي
ليلاً من اليأس..

/

المَوْتَى
صاروا طيوراً
في المدى الأبدى،
يُغَرِّدُونَ
ليطربَ الأحياء..

/

امتلاً الهجيرُ دَمًا
مِنَّا..
وملّ وفودنا القبرُ.

/

رَعَتِ الخطوبُ
وَأَجْفَلَتْ هِمَمُ الوَغَى،
وتَلَفَّتِ المضمارُ!

/

يَتَغَنَّى

حتى ترى ما بين ألفاظه
قبور الأعادي.

/

فَتَحَ عَيْنِهِ

على حديقةٍ
يتدفقُ فيها السراب.

/

ما هذه الألوانُ الوحشيّة المتناقضة؟

أَجْبِنِي
أَيُّهَا الْأَفُقُ الْأَبْكَمُ.

/

قلبي

هذا العانسُ العَبْثِيُّ
يَنْزُو بِي دَهَوْرًا،
يَسْتَرْقُ خُطَايَ
مِنْ مَهْوًى إِلَى مَهْوٍ
وَمِنْ جَذْبٍ إِلَى جَذْبٍ..

/

قُلْ لِي الْآنَ
كَيْفَ تُجِيدُ الْوُقُوفَ بِلَا أَمَلٍ
مِثْلَ نَخْلَةٍ
أَيُّهَا الشَّاعِرُ الْمُتَوَحِّدُ؟

يُشْعِلُ أَشْوَاقَهُ
لِحَفِيفِ الْغُصُونِ الْبَعِيدَةِ،
فَتَبْعُدُ،
تَبْعُدُ أَكْثَرَ..
فِييَكِي وَيَمْضِي
يُسَامِرُ ظِلَّهُ.

كُلُّ ذَاكَ الَّذِي كَانَ
فِي الدَّمْعِ وَالابْتِسَامِ،
الَّذِي كُنْتُ أَرْقُبُهُ مِنْ بَعِيدٍ
فَتَكُنُّرُ فِي جَانِحِي الْعَصَافِيرِ..
وَالَّذِي كَانَ
مَلْجَأَ أَجْنَحَتِي
حِينَ تَغْرُسُ فِيهَا الرِّيحُ خُنَاجِرَهَا،
كُلُّ ذَاكَ
تَوَسَّدَ أَحْلَامُهُ الْمَيِّتَةِ
ثُمَّ
مَاتَ عَلَى زَنْدِهَا.

تَوَسَّدَ غُصُونِ لِيَالِيكَ
 أَوْقَدَ بِهَا سُهْدَ قَلْبِكَ
 وَأَفْرِغَ حَرَارَةَ مَا تَتَذَكَّرُ
 فَوْقَ الْجُسُورِ الَّتِي
 يَعْبُرُ الدَّفْعَ فِيهَا
 لَتَمْتَدَّ ثَانِيَةً ..
 أَشْعَلِ قِصَائِدَكَ الْغَزَلِيَّةَ،
 كَفَكِفْ غَيُومَكَ مِنْ أَفْقِهَا الْأَمْوِيِّ،
 اسْتَجِبْ لِلرِّيَّاحِ
 وَخُذْ مِنْ يَدَيْهَا
 يَدَيْكَ ..
 حَنِينِكَ ..
 أَوْ قَسَمَاتِكَ ..
 أَوْ مَا تُرِيدُ مِنَ النِّهَرِ،
 يَا كُلَّ مَا أَتَمَنَّاهُ
 حِينَ تُفَيِّقُ الصَّبَا بِأَقْلَبِي
 يَا نَجْدَ
 يَا نَجْدَ
 إِنِّي صَدَّئْتُ ..

الشاعرُ الملوّن، يقول:
هل يوماً ذُقتَ
هوانَ اللون،
ورأيتَ الناسَ إليك يُشيرون
يُنَادون:
عبدٌ أسود.. عبدٌ أسود..؟
هل يوماً
رُحْتَ تُراقِبُ لعبَ الصَّبِيَّةِ
في لهفَةٍ وحنانٍ
فإذا أَوْشَكَتَ تصيحُ
بقلبٍ مُتَلَيٍّ: ما أبدعَ عِفْرَتَ الصَّبِيانِ!
هَبّوا نحوكَ بالزَفَّةِ:
عبدٌ أسود.. عبدٌ أسود..؟
هل يوماً
ذُقتَ الغُرْبَةَ،
والنومَ
تتلوَّى فيكَ الأرضُ والألوانُ
عاريّةً
رطبة..؟

هل تعرّفت مُفردةً
يَسْكُنُ الشَّعْرُ
في بَهْوِها الرَّحْبِ
مثلَ الوجعِ؟.

الوجع..
تلك مُفردةٌ عاهرة؛
سَرَقَتْ
كُلَّ ما في الحقولِ مِنَ النُّضجِ
والزَّهْوِ
والأَسْرِ،
ثُمَّ تشبَّطتْ إلى كُلِّ قَلْبٍ.

الوجع..
لن تراها وقد مَوَّهَتْ نفسها
بالضباب
أو كَحَلَّتْ نفسها
بالوقوف وراء المواعيد،
إنها عارية!
عُرِّيَ رَوْشَةُ بيروت..
عُرِّيَ السَّهَامُ إذا انطلقت..
عُرِّيَ الصَّبَا
وقد نَضَبَتْ لُغَةُ الجَسَدِ الغَضِّ
حتى أصابَ المرايا الشللُ!..

الوجع..
لُغَةٌ فِي الْجَبَاهِ إِذَا مَا تَصَيَّبَ مِنْهَا التَّعَبُ،
لُغَةٌ فِي الظُّهُورِ
التي قَضَّهَا الانْحِنَاءُ،
لُغَةٌ فِي اللُّغَةِ..
لُغَةٌ فِي الْمَوَاوِيلِ؛
إِذْ يَقِفُ النَّيْلُ مُنْفَرَدًا..
وَالَّذِينَ يَعِيشُونَ مِنْهُ بِلاَ تَعَبٍ
أَوْ مَوَاوِيلَ:
يَصْطَنَعُونَ الْفَرَحَ.

الوجع..
هَبَّ لَا يُضِيءُ،
ثَلَّةٌ مِنْ مَسَامِيرِ
أَوْ هَرَمٌ مِنْ دُمُوعِ..
قَافِلَةٌ مِنْ رَعُودِ
بِلاَ مَطَرٍ سَيَجِيءُ،
وَمَجْزَرَةٌ دَائِمَةٌ.

الوجع..
ما تشاهقَ في القلبِ
مثلَ النوارس
ثمَّ
أفاقَ على هُوَّةٍ غادرَةٍ.

الوجع..
أَنْ تُحدِّقَ فيكَ صباحاً
فتلعنَ كلَّ المرايا.

الوجع..
لا يُساويه إلا الوجع.

الوجع..
ما نراهُ على الأرضِ.
هل في السَّماءِ وجعٌ؟

كان للحُزْنِ عِنْدَكَ، مُنْذُ الطُفُولَةِ،
زَبَدٌ أَيْضُ
مثل دِجْلَةٍ،
كان يَرْتَاغُ مِنْكَ
وترتأغُ مِنْهُ..
وَإِذْ يُجْهَشُ اللَّيْلُ، تُدْنِيهِ،
تُدْنِيهِ حَتَّى الشُّغَافِ
وَتُطْلَانِ، مِنْ شُرْفَةِ الْوَهْمِ،
فَوْقَ ذُبُولِ الْأَمَانِي الْقَلِيلَةِ.

كان مُتَّداً
كالضباب على البحر؛
يُقبلُ شيئاً فشيئاً
ويرقصُ شيئاً فشيئاً
ويكبرُ
يصغرُ
مثل اختلاج فاتنةٍ
تتوهجُ
فوق الفُراتِ
وتنظرُ في مائه
ثم تهمسُ: إني جميلة!.

كَانَ حُزْنُكَ
طِفْلاً تَعَثَّرَ فِي لَعْبِهِ
فَاسْتَشَاطَ
وَأَرْخَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ سُدُولَهُ..

كَانَ شِعْراً تَفَجَّرَ إِلَّا قَلِيلاً
فَنَاحَ عَلَيْهِ
اِنْتَظَارُ الْقَوَائِي
وَمَا قَدْ تَاهَبَ
فِي الْغَزَلِ الْمُسْتَسِرِّ الْمُرَاوِغِ
لِلْبُوحِ
فِي لُغَةٍ مُسْتَحِيلَةٍ.

فأين هو الآن؟
قد جاء حُزنٌ غريبٌ
يُلَطِّخُ كُلَّ الوجوهِ
وَكُلَّ القُلُوبِ
وَكُلَّ المعاني النبيلة..
جاء حُزنُ الحُواةِ
جاء حُزنُ الطُّغاةِ
جاء حُزنُ الرَّذيلةِ.

أَمَلِي يَسْتَظِلُّ بِأَوْهَامِهِ
 فَيَفْتَحُ أَفْقًا
 لِأَشْرَعَةِ الذَّاكِرَةِ، حِينَ
 كَانَ الزَّمَانُ صَبِيًّا
 يُوحِّدُ
 بَيْنَ خُطَاهُ
 وَبَيْنَ الْيَنَابِيعِ.

كَيْفَ تَذْكُرُنِي الْآنَ
 بَعْدَ اصْفَرَارِ الْغُصُونِ الْوَرِيْقَةِ
 وَالْعُقْمِ
 فِي السَّحَبِ الْمَاطِرَةِ؟
 أَمَلِي..
 أَيْنَ أَنْتِ؟
 لَا أَتَذَكَّرُ أَيْنَ التَّقِيْتُكَ آخِرَ مَرَّةٍ!

أَتَذَكَّرُ
يَوْمَ تَسَوَّرْتَ ذَاكَ الْجِدَارَ الْمُشِيدَ بَيْنِي
وَبَيْنَ الطُّفُولَةِ
بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُرَاهِقَةِ السَّادِرَةِ
كَنْهَرٍ طَوِيلٍ مِنَ النَّارِ..
وَكَيْفَ لَعَبْنَا مَعًا
وَخَلَقْنَا، عَلَى عَجَلٍ، شَجَرًا وَهَدِيلاً
وَأَخِيلاً، وَفُصُولاً جَدِيدَةً،
وَحَيَاةً
تَلُوحُ فِيهَا حَيَاةٌ فَرِيدَةٌ..
أَتَعْرِفُنِي الْآنَ؟
لَا.. لَسْتُ تَعْرِفُنِي..
غَبَّتْ عَنِّي طَوِيلًا
وَاصْفَرَّتْ مَعْنَى الْحَيَاةِ
وَوَاحَاظَتْ مِيَاهُ الزَّمَانِ
وَهَاجَرَ
حَقْلُ الْقَصِيدَةِ.

كَيْفَ تَعْرِفُنِي
وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ
أَنْقَاضُ عُمْرٍ
تَحَلَّى، وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ
سِوَى حَطَبِ الذَّاكِرَةِ.

إِلْتَقَيْنَا مَعاً
عِنْدَ نَهْرٍ مَضَى..
كَيْفَ نَرْجِعُهُ
أَيُّهَا الْأَمَلُ الْمُسْتَظَلُّ
بِأُشْرَعَةِ الذَّاكِرَةِ؟
لَيْسَ يُحْزِنُنِي
أَنْ يَكُونَ جَنَاحَاكَ أَطْوَلَ
مِنْ كُلِّ أَجْنَحَةِ الرِّغَبَاتِ الْمَهِيضَةِ
فِي صَدْرِي الْمُتَأَكِّلِ.

كُنْ ما تُريد..

فَأَنْتَ الشَّمَالَةُ لِلْعُمُرِ

وَأَنَا

لَا جَنَاحِينَ لِي، لِأُحَلِّقَ مِثْلَكَ

فِي سَدْرَةِ الْوَهْمِ

أَوْ سَدْرَةِ الْمُنْتَهَى

لَا..

لَيْسَ لِي غَيْرُ أَنْتِ!

فَمَتَى تَتَذَكَّرُ

شِعْرَ الْطَّلُولِ

وَتَسْأَلَنِي

عَنْ لِقَاءٍ جَدِيدٍ

لِخَوْلَةٍ

قَبْلَ الْهَزِيعِ الْآخِرِ؟

Ω

ما الذي يجعلُ القلبَ
مُنفرطاً

كضياء المصابيح؟:

ساعةٌ

تتوحدُ فيها مع البحر،

تضحكُ أمواجه

كصبايا غدير امرئ القيس.

أو

ساعةٌ مع زهرة،

تتسابقُ ألوانها

في شرايين قلبك،

ثم يقولُ لك العطرُ: خُذني،

فينبُتُ في ساعديكَ الشلل!.

أو

ساعةٌ هامة

مثل قَبْرِ مُحاطٍ بأبياتٍ شعر..

أو

ساعةٌ شاردة،

مثلَ قَلْبَيْنِ

لا يعرفانِ اصطِيادَ العَصافيرِ..

لا يعرفانِ سوى روعةِ النارِ

وهي تُصَاهِرُ بينهما.

أو

ساعةُ العيدِ..

حينَ تَدُقُّ، تَدُقُّ،

وليس هناك أحد،

إنَّه النَّوْمُ

سَيِّدُ هذا البلدِ..

أو

ساعةُ فارغة

كفؤادِ أُمِّ موسى،

أو كفؤادي

وقد هزَّ مليون نخلة

ولا حَشَفٌ

أورطَب.

أو

ساعةٌ نادرة،

مثل دفع الرغيف

الذي لا يراه الملايين

إلا إذا ما احترق.

أو

ساعةٌ شاعرة

مثل رَوْشَةِ بيروت،

أو مثل ما يتكدّس في النَّيلِ

مِنْ صُورٍ لَا تُرَى.

هُوَ ذَاكَ الَّذِي يُجْعِلُ الْقَلْبَ

مُنْفَرطاً

كضياء المصابيح.

Ω

VII



ذِكْرِي..
وَعُدْتُ أَنَا
لِلرُفُوفِ السَّحِيقَةِ.

/

كَلَّا..
سَتَرْقُدُ هَذِهِ الذِّكْرِي
عَلَى مَا لَا يَعِيشُ بِقُرْبِهِ
النَّسِيَانُ.

/

إلى أينَ تحملُ
أشلاءَ ذاكرةٍ
ليس فيها سوى الرَّعبِ
مُنفلتاً،
وقواريِرَ أسطورةٍ ناقصة؟

/

منحَنتني ذِكرَاكَ
ألفَ جناحٍ،
فسكَبَتَ النجومَ
في أقداحي..

/

حينَ أذكرُهُ
لا تظُلُّ الطَّبِيعَةُ عاقِلَةً..
الجنونُ الذي في دمي
يتأجَّجُ
في دمها..

/

ذكرياتي
صَوَّري لي أَنِّي
أسيرٌ ببغدادَ
ورأسي
خُلُوٌّ من الأصفادِ..

/

هل أنت ذاكرني
أم أنت ذاكرةٌ ثانية؟
ما الذي سوف يبقى
إذا انداحت الهاوية؟

/

كُنَّا
في لُغمٍ الانتظار..
نقرأُ
طيوفَ المستقبل.

/

أَرِحْ من جناحيك
وانسَ الأئينَ
إذا الجمرُ
نازَلَ كَفِّيكِ.

/

كَانَ يَمْشِي فِي حُطَامِهِ
مِثْلَ طَائِرٍ فَقَدَ جَنَاحَيْهِ،
أَوْ مَأْسَاةٍ
تَنْوُءُ بِسَوَادِهَا..

/

هَآ أَنَا الْآنَ عُرْيَان
مِنْ كُلِّ دَمْعٍ ذَرَفْتُ بِصَمْتٍ،
مِنْ كُلِّ جُرْحٍ
سَتَرْتُ الدَّمَاءَ الَّتِي كَانَ يَنْزِفُهَا
بِابْتِسَامٍ.

/

أَتَيْتُكَ فِي وَضَحِ الْعُرَى
حُزْناً شَفِيفاً
عَمِيقاً
كَمَا الْأَرْجَوَانَةُ..
أَتَسْمَعُنِي؟

/

تُمْ مَاذَا؟
لَا شَيْءَ.
قَدْ نَسِيَ السَّامِرُ
وَاسْتَوْحَشَ النَّدَاءُ الْمُنَادِي..

/

في الهزيع الأخير من القلبِ
ها أنتِ تحت الرياح الغربية
تَحْضُنُ أوراقك الذّابلة، تُحْصِنُها
بالطيوف النحيلة
والابتهاال الصّقيل.

/

تَفِيًّا بَعْضُ
بِبَعْضٍ،
فَأَجْهَشْتُ الفَرَحَ الماحِلَةَ.

/

لست أدري
ماذا يُبرِّكنُ آلامي
ويقتادُني
إلى نار حُزني..

/

مساوُكٌ مُعتكِرٌ سيّدي،
لا عصافيرَ فيه..
لا وَقْدَ،
لا نخلةً،
لا تُلْفَتْ..
هل أستطيعُ الدخولَ
إليه؟

/

يا ما كان:
تكتظُّ العيونُ
بصَمَتِها القَدَرِيّ،
تصَطَفُ القلوبُ على المدى،
تتداخَلُ الأشجار..

/

للضبابِ
بلاغته الشَّارِدة.
ولأعناق النَّخيلِ انتهاءها.
وهنا
وهناك
زورَقٌ واحدٌ للضبابِ
وهوى واحدٌ
للنخيل.

/

مَعِينُ أَجْنَحَةٍ
يَفِيضُ
فَيُرْفِرُ الصَّخْرَ..

/

شَعْرٌ
تَلْعَبُ بِالنَّارِ
قَوَافِيهِ..

/

أَيُّهَا الْوَعْدُ
يَا عُمْرِيَ الْمَتَاكُلَ
كَالَلِيلِ:
كَيْفَ أَجْهَزْتُ، فِي غَفْلَةٍ فَاغِرَةٍ،
عَلَى مَا تَبَقَّى مِنَ الْبَرَقِ فِي الْقَلْبِ؟
لِمَاذَا تُكَبِّلُنِي
إِذَا مَا التَّفْتُ نَحْوَ الْوَرَاءِ
إِلَى نَارِ مُقَدَّمَةٍ لَمْ أَذُقْهَا؟
لِمَاذَا إِذَا فَتَحْتَ صَبَوَاتُ النُّوَافِدِ أَذْرُعَهَا
لَأُغْنِي، تُفَاجِئُهَا بِالظَّلَامِ؟
لَكَ مَا كُنْتُ، أَوْ مَا تَكُونُ..
لَهُنَا مَعًا، أَيُّهَا الْوَعْدُ!
وَكَانَ الزَّمَنُ
يُعَانِدُنِي وَأُعَانِدُهُ،
وَكَانَتْ خُطَاكَ
تُسَامِرُهُ
فِي الْعَلَنِ..

هُم رِفاقي
على زُورقِ الظلماء
هذا يُدلي

وذلك يجني ..

يا طيرُ تنَاهِبْ قلبي !

ها أنا جالسٌ

يُبِعْثُرُ أطفالي

حقلاً من الزهور

بعيني ..

ها أنا جالسٌ

وُقُبَيْلِي بِحَرٍّ

مِنَ الْأَذْرُعِ السَّمَرَاءِ

شَيِّدَتْ حِصْنِي ..

ها أنا جالسٌ

غَيْرَ أَنِّي أَعِيشُ

فِي وَحْشَةٍ مَّأْسُورٍ

فَرَّ مِنْهُ

حتى التَّمَنِّي ..

كَانَتْ بِيَابِ دَارِنَا
تَرْقُصُ كَالنَّعْمِ.
وَفِيْوَهَا الْمُنْسَكِبُ
الْحَنُونُ كَالْحُلْمِ..
تَغْسِلُ غُرْبَةَ الطَّيُورِ فِي الْمَسَاءِ،
وَتَنْثُرُ الْأَنْهَارَ فِي الْفَضَاءِ..
وَأَعَوَّلَتِ الرِّيحُ ذَاتَ يَوْمٍ
وَكُنْتُ فِي الرَّحَامِ؛
قَبْضَتَايَ
تَشُدُّ أَطْرَافِيْ عَنِ الضِّيَاعِ
أَحْلُمُ بِالْجَبَاهِ لِلْبَشَرِ.
وَعُدْتُ
كَالْبُكَاءِ
أَنْوَاءُ بِالْحَنِينِ وَالثَّمَرِ
فَلَمْ أَجِدْهَا!
لَمْ أَجِدْ دَارِي الَّتِي
وَدَّعْتُ فِي الصَّبَاحِ،
قَدْ مَرَّتِ الرِّيحُ
وَانْدَاخَتِ الْمَدِينَةُ،
فَتَابَعَ السَّفَرُ..

يَتَمَسَّكُ
حِينَ يُغَاذِلُهُ اللَّيْلُ
بِالْفَجْرِ؛
يَسْكُبُ مِنْ رُوحِهِ الزَّيْتُ
فَوْقَ الشَّمْعِ التي انطفأت
أَوْ تَكَادُ..
وَيَخْضَرُّ مِنْ حَوْلِهِ الْوَقْتُ،
يَخْضَرُّ حَتَّى الرَّمَادِ.
وَتَرْفُو شَطَايَاهُ - وَهُوَ الْمَمَزَّقُ -
تِلْكَ الَّتِي عَرَفَتْ أَنَّ تُضَلَّلَ
حَتَّى الَّذِي اسْمُهُ
الْمَوْتُ.

على حواشي النبع
ينحلُّ في وتري الغناء
وتنطفئ فيه الحياةُ
ويخِرُّ
مغلول الهديلِ
كأنما الجذبُ.
وتري: أيجرحُك الغناء؟
أم انطوى عنك الحنينُ
وأغمضَ التذكارُ؟
عهدي بلحنك يحبو
بخلجته الفتون
ويرتمي في كُلِّ سَمْعٍ..
والآن
يصرعه الخمولُ
وينحني بيد الخريف..
وتري:
قد تنسى الطيورُ
هديلها..

توقّف بي قليلاً
 عند ضوءٍ ناحلٍ
 يتعابثُ الأشجارُ،
 تُوصدُهُ ويوصدُها
 وترشقُهُ ويرشقُها،
 وينسابُ الهديلُ الغضُّ
 ما بينَ اليمامِ يَغيمُ..
 يكتظُّ المدى الشجريّ
 باللهبِ الشّفيفِ
 وبالمحارِ،
 محارةٌ أخرى، وأخرى، ثمّ
 تصطفُّ البحارُ
 على المدى الريّانِ
 أغصاناً من الماء، اكتست
 ثمرَ الهديلِ.

أَعَيْنِي
جَفَلَكُنَّ السَّنَا..
فَمَنْ عَلَّمَ الْفَجَرَ
أَنِّي هُنَا؟
وَأَيُّ مَهَبٍّ
أَعَادَ الرَّمَادَ
عَلَى خَاطِرِي؟.

تَيَقَّظْتُ:
لا..
لَمْ أَكُنْ فِي الْقُبُورِ!
هَذِي حُرُوفُكَ
وَهَذَا أَنَا
وَذِي الْحَائِكِ، طَيُورُ
تُرْفَرُ فِي بَيْتِنَا..

وَقَفَا يَهزَّجَانِ..
واللهوُ في عَينيهما
طائرٌ يكادُ يفرُّ..
واختلاجٌ عذبٌ
تنفّسَ منهُ خيالي سِحْرُ
وتمتمَ شعْرُ..
ثمَّ
صالا،
وفي شفاهي نهيٌ يتغابى!
وفي فؤادي أمرٌ..

وَعَلَتْ ضَجَّةً
تَهْدَدُ فِيهَا أَسَدٌ هَائِجٌ
وَأَوْعَدَ نَسْرٌ،
وَأَدَارَ اللَّهْؤُ الغريرُ
حُمَيَّاهُ
فَعَبَّتْ كَفٌ
وَأَدَمَنَ ظَفْرُ..
وَفُؤَادِي مُقَسَّمٌ..
يُشْهَرُ المَوْتُ عَلَيْهِ كَرٌ
فِيحْمِيهِ فَرٌّ!..

بُرْهَةً

كالخيال..

وانطفأ الشَّوْطُ، كَمِيًّا،

وعاودَ النَّشْرَ زَهْرٌ.

وأُتاني الصَّغِيرُ

يسألُ مِنِّي:

أَيْنَا الظَّافِرُ

الْكَمِيُّ

الْأَغْرُ؟

وعلى مُقَلَّةِ الْكَبِيرِ

التَّفَاتُ مُرْهَفٌ

سَلَّهُ عَلَيَّ النَّصْرُ..

يا لها حيرة
يَتِيهُ بها الفجرُ!
أنا حاكمٌ
فماذا أُفَرُّ؟
Ω

محمد عبدالله العلي

- شاعر ومُفكّر من السعودية. وُلد في الأحساء عام 1931م. يُعتبر من آباء حركة الحداثة الشعرية والفكرية في السعودية. صدر له:
- نمو المفاهيم: تساؤلات وآراء في الوجود والقيم. جمع وإعداد أحمد العلي. نادي الرياض الأدبي/ المركز الثقافي العربي 2013م
 - البئر المستحيلة: محاولات لتجاوز السائد في الثقافة والمجتمع. جمع وإعداد أحمد العلي. نادي الرياض الأدبي/ المركز الثقافي العربي 2013م.
 - حلقات أولومبية: مقالات صحيفة اليوم، الجزء الثالث. جمع وإعداد أحمد العلي. دار مدارك/ نادي تبوك الأدبي 2013م
 - دَرسُ البحر: مقالات صحيفة اليوم، الجزء الثاني. جمع وإعداد أحمد العلي. دار طوى/ دار الجمل 2012م
 - هموم الضوء: مقالات صحيفة اليوم، الجزء الأول. جمع وإعداد أحمد العلي. دار طوى/ دار الجمل 2012م
 - لا ماء في الماء: الأعمال الشعرية. جمع وإعداد: محمد الشقاق وحمزة الحمود. نادي المنطقة الشرقية الأدبي 2009م
 - كلمات مائية: مقالات. جمع وإعداد محمد الشقاق وحمزة الحمود. دار الانتشار العربي 2008م
 - ديوان الشعر الصوقي. نادي حائل الأدبي 2007م
 - محمد العلي: شاعراً ومفكراً. جمع وإعداد محمد القشعمي وعزيزة فتح الله. دار المريخ 2005م
 - محمد العلي: دراسات وشهادات. جمع وإعداد محمد القشعمي وعزيزة فتح الله. دار المريخ 2005م

أحمد عبدالسلام العلي

شاعر ومُترجم من السعودية. وُلد في الظهران عام 1986م. صدرَ له:

- صندوقُ الموسيقى: ترجمة مُختارات من أعمال الشاعرة الأمريكية الفلسطينية نعومي شهاب ناي. دار أثر 2015
- أصواتُ الطبول البعيدة: ترجمة مُختارات من الأدب الصوفي العالمي. دار طوى 2015
- كما يُغني بوب مارلي: دليلُ التائهين إلى نيويورك. دار طوى 2014
- يجلسُ عارياً أمام سكايب. دار طوى 2013
- نَهام الخليج الأخضر. نادي المنطقة الشرقية الأدبي 2010

مُدونة نهر الإسبرسو

<https://alaliahmed.wordpress.com>

